[DIPLOMATIC LANGUAGE PHENOMENON IN THE LIGHT OF PROPHET MUHAMMAD'S PROPAGATION LETTERS]

ظاهرة اللغة الدبلوماسية في ضوء الرسائل المحمدية الدعوية

Sulaiman Ismail
sulaiman.i@usim.edu.my (Corresponding Author)
Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai 71800, Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia

Salmah Ahmad
salniukm@gmail.com
Research Center for Arabic Language and Islamic Civilization
Faculty of Islamic Studies, National University of Malaysia
43600 UKM Bangi, Selangor, Malaysia

Md Nor Abdullah
monab@gmail.com
Research Center for Arabic Language and Islamic Civilization
Faculty of Islamic Studies, National University of Malaysia
43600 UKM Bangi, Selangor, Malaysia

Yuslina Mohamed
yuslina@usim.edu.my
Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai 71800, Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia

Abstract

This research aims to describe the importance of diplomatic language and to confirm its effectiveness in international discourses as its form and content are very distinct from other types of languages used in trade, culture, literature, sports, etc. The Prophet (PBUH) paid attention to this diplomatic language to spread the call of Islam and to convey the message of faith to the kings and princes in Arabic or in its translation in other languages at the end of the sixth year of Hijrah. The research adopted descriptive analysis method to analyze selected texts from a number of *al-hadiths* concerning the functions of the diplomatic actions carried out by his companion. This study concluded that this diplomatic language indeed needs translation as it had played an important role in the success of the mission of international discourses. It helped to bring the meaning of the messages to the understanding of the kings and princes and it also aided to deliver the elements of propagation into their minds and souls. In return it led to their recognition of the truth of the propagation and their acceptance of the call carried out by the lines of these propagation letters.

Keywords: *translation, discourse analysis, diplomatic language, international relations, Muhammad's letters*

ملخص البحث

يهدف هذا البحث لتوضيح أهمية اللغة الدبلوماسية وتأكيد فعاليتها في الخطابات الدولية التي يتميز شكلها ومضمونها عن بقية أنواع اللغات الأخرى في التجارة والثقافة والأدب والرياضة وغيرها. وقد أولى الرسول صلى الله عليه وسلم اهتمامه بهذه اللغة الدبلوماسية لنشر دعوة الإسلام وتبليغ رسالة الإيمان إلى الملوك والأمراء باللغة العربية أو بترجمتها إلى لغات أخرى في أواخر السنة السادسة بعد الهجرة. وتبنّى البحث التحليل الوصفي للنصوص المختارة والأحاديث المتعلقة بمهام الأعمال

الدبلوماسية التي قام بها الصحابة. وتوصّلت الدراسة إلى أنّ اللغة الدبلوماسية بحاجة ماسة إلى الترجمة، وتلعب دورًا هاما في نجاح مهمة الخطابات الدولية، حيث تقوم على تقريب معاني الرسائل إلى أفهام الملوك والأمراء وإيصال عناصرها الدعوية إلى نفوسهم مما يؤدى إلى اعترافهم بصدق الرسالة وقبول الدعوة السامية التي حملتها أسطر هذه الرسائل الدعوية .

كلمات مفتاحية: *الترجمة، تحليل الخطاب، اللغة الدبلوماسية، العلاقات الدولية، الرسائل المحمدية*

Article Received:	*Article Reviewed:*	*Article Published:*
14 September 2020	23 October 2020	30 November 2020

المقدمة

لقد نشأت الحضارة منذ بدايتها في تاريخ البشرية وواكبت في حينها جميع أصناف النشاطات والمعاملات الرامية إلى اقتناء المنافع وتبادلها بين جميع الأطراف المعنية لبقاء هذه الحضارة وعمارتها، ومن بين هذه النشاطات، العلاقات الدولية والدبلوماسية التي لعبت في شتى صورها دورا كبير في بناء العلاقات بين الأفراد داخلالأسر أو القبائل أو الدول داخل حدودها أو خارجها.ومن أجل هذا كانت الأعراف المقبولة والمعاهدات المنصفة والدساتير العادلة كلها تصب في مصلحة هذا الإنسان وهذه الجماعة، وكيف أنها يجب أن تعمر الأرض (Maqbul, 2000: 11). وقد أكد روبرت فورتنر (1:1993-6) بأن هذه العلاقات قد تجاوزت حدودها الجغرافي الدولي وشملت كذلك الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، وأصبحت الحاجة إلى اقتناء لغة رسمية للاتصال والتبادل الرسمي بين الدول مما أدّى إلى ظهور لغة دبلوماسية.

واللغة الدبلوماسية عبارة جديدة في العلاقات الدولية الحديثة حيث استخدمتها إنجلترا لأول مرة قرابة مائتي سنة تقريبا (Istanbuli, 2001: 25). وكلمة "دبلوماسية" مأخوذة من اللغة اليونانية القديمة ''diplome''ويراد بها اللف والطي؛واصطلاحا هو ملف رسمي مطبوع على لوحات معدنيّة بطريقة معيّنة ومختوم عليه (Wang, 2009: 25)، ومن ثّم أُطلقت على العلاقة الرّسمية بين دولتين فأكثر، وسمّيت بـ " اللغة الدبلوماسية"، وتعتبر هذه اللغة سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة هي الوسيلة الوحيدة لعملية الاتصال بين الأفراد ورؤساء الدول وملوكها.ونظرا لاختلاف لغة العالَـم قد تلجأ بعض الدول عند احتكاكها وتواصلها بالدول الأخرى إلى استخدام الترجمة والاستعانة بالمترجمين لتفادي سوء الفهم والخطأ في نقل المعلومات، ولدرء العواقب السلبية التي قد تنجم عنه.

إن أهمية الترجمة في العلاقات الدولية والخارجية بدأت ظهورها منذ العصور القديمةواستمرت إلى فجر الإسلام، حيث أدرك الرسول صلى الله عليه وسلمبفطانته أهمية الترجمةواتخذها وسيلة في مراسلة الملوك، وولّى جُلّ اهتمامه بها في علاقاته الخارجية. وهكذا استمرت الحاجة إلى الترجمة وظلّت أهميتها في السلك الدّبلوماسي إلى عالَمنا اليوم.

اللغات الدّبلوماسية عبر العصور

لعبت العلاقات الدّولية والدّبلوماسية في شتّى صورها دورًا كبيرًا في بناء جسر التواصل بين الأفراد والأسر والقبائل والدّول داخل حدودها أو خارجها. وظهرت اللغات الدبلوماسية فيمختلف الحضاراتكأداة لنقل جميع أصناف النشاطات والمعاملات الرّامية إلى اقتناء المنافع وتبادلها بين جميع الأطراف المعنيّة لبقاء هذه الحضارة وعمارتهاسواء أكانت عن طريقالمشافهة أو المراسلة، وأكدهذه الحقيقة، محمد ابن طالون (1987: 18) حيث قال، "كتابة الرسائل وإيفاد الرّسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدّول والشّعوب، ولقد عرف اليونانيون والرّومان هذا الضرب من الاتصالات الدّولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من قبل قدماء المصريين".

أخذت طبيعة العلاقات الخارجية تتطور تدريجيًا في خدمة مصالح الفئات والدول المعنيّة، وأصبحت الاتصالات الدّبلوماسية من أهم ضروب العلاقات الخارجية في العصور الحديثة، ومن أجل هذا كانت الأعراف المقبولة والمعاهدات المنصفة والدساتير العادلة كلها تصب في مصلحة هذا الإنسان وهذه الجماعة، وكيف أنها يجب أن تعمر الأرض (Maqbul, 2000:11). وقد أكد روبرت فورتنر (1993:1-6) بأن هذه العلاقات قد تعدّت إلى ما بعد حدودها الجغرافي الدولي وشملت الجوانب السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، وأصبحت أداة رسمية للاتصال والتبادل الرسمي بين الدول.واللغات سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة فهي تعتبر الوسيلة الوحيدة المناسبة لعملية الاتصال فيما بين الأفراد ورؤساء الدول وملوكها.

استخدم الناس منذ العصور السالفة العديد من اللغات في تواصلهم، ولم تكد توجد لغة معينة واحدة أخذت الدور الوحيد لتكون لغة التواصل بين الدول والجنسيات المختلفة في تعاملاتهم عبر هذا التاريخ الطويل، ولكنه مع هذه الحقيقة كان هناك بعض اللغات أصبحت لغة دبلوماسية ولغة التواصل لدى بعض الدول لأسباب معيّنة ولكن لم يمكث إلا لفترة معيّنة ومنطقة محددة (Baranyai, 2011). ويرى لفيف من الباحثين بأن اللغة البابلية في حضارة وادي الرافدين العراقية قد انتشرت في هذه المنطقة وفي الدول المجاورة لها وأصبحت لغة التخاطب في علاقاتها الدبلوماسية مع الحضارة المصرية القديمة، في عهد "تحتمس الثالث" الذي حكم "1483–1450" قبل الميلاد ساد السلام منطقة الشرق القديم زهاء قرن من الزمن،شعرت بالاستقرار السياسي، وقامت فيها علاقات مفعمة بالودّ الصادق والمحبّة والتّعاون بين فراعنة مصر وملوك الأمم المجاورة هي الأولى من نوعها في التاريخ القديم. فقد تم العثور على العديد من المراسلات التي كان يتبادلها الملوك منها مراسلات دبلوماسية بين ملوك بابل وفراعنة مصر (Abu ‘Ubadah, 2009: 21).

وقد أشارت الوثائقالقديمة على وجود لغة دبلوماسية قديمة اتخذها بعض الملوك عنصرًا أساسيًا في كتابة اتفاقيّة السّلام مع الملوك الأخرى. وأول وثيقة عقد السلام عثر عليها في التاريخ ترجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكانت وثيقة اتفاقية السلام بين رمسيس الثاني فرعون مصر وبين حاتوسيل الثالث ملك الحيثيين والتي بموجبها أقيم التّوازن بالقوى بين الطرفين في الأراضي السورية (Abu ‘Ubadah, 2009: 26). وهناكأيضًا معاهدات بين رمسيس الثاني ملك مصر وبين حتثيار الثالث ملكالحيثيين. تتم هذه المعاهدات من خلال إرسال بعض المبعوثين من كلا الطرفين لحل مشاكلهم عن طريق المفاوضات والاتفاقيات؛ وعادة يبدأ إرسال المبعوثين بعد انتهاء الحرب بينهما (Shabanah, 2001: 10). وهذا مما يدل على أن اللغة الدبلوماسية المصرية متواجدة عند المصريين القدماء.

ومن اللغة الدبلوماسية أيضًا نجد اللغة الهندية والصينية،استخدمتفي الحضارة القديمة عند الهند والصين (Shabanah, 2001). إلى جانب هذه اللغات أشاربعض المؤرخينوخبراءالآثارإلى وجود اللغة الآكادية القديمة التيلها نفوذ ودور ملحوظ في العلاقات الدبوماسية في الشرق القريب. استمرت اللغة الآكادية على أوج هيمنتها أمام اللغات الأخرى لمدة ألف سنة تقريبًاحيث شاع استخدامهافي كتابة نص الاتفاقية، ولكن سرعان ما تلاشى نفوذها بعد ظهور اللغة الآرامية لتحل محلها،ودامت أكثر من ألف ونصف ألف سنة في منطقة مهد الحضارة القديمة ما بين العراق وإيران في الشرق الأوسط حاليا (Baranyai, 2011: 3).

ثم سادت اللغة الإغريقية بعد ذلك في عهد الإسكندر الأكبر بعد أن وسّع هيمنة إمبراطوريته على الإمبراطوريات الأخرى لتؤدي دورها في التواصل الدبلوماسي بجانب اللغة الآرامية المشهورة آنذاك، وبعد انتهاء عصره قاموا بإجبار الناس على استخدام الإغريقية فقط واختيارها لغة التخاطب والتواصل فيما بينهم ومنعوهم من استخدام الآرامية واللغات الأخرى تمهيدا لنفوذ الإغريقية على سائرها من اللغات. وبهذا أصبحت المدن اليونانية كما ذكر أبو عبادة (2009: 28) تتبادل الممثلين الدبلوماسيين، وتعقد فيما بينها الاتفاقياتباللغة الإغريقية.

وعندما تطور الأوضاع السياسية والثقافية في العصور الوسطى انتشرت اللغة اللاتينية بين ملوك الرومان في الإمبراطورية الرومانية بدلا من الإغريقية، وزاد انتشارها بين الملوك وطبقات المثقفين من رجال الدِّين وأصبحت لغة دبلوماسية جديدة. استمرّت استخدام اللغة اللاآتينية لعدة قرون، وظلّت حتى بعد سقوط الإمبراطورية الرومانيةلعدة قرون أخرى.

وحينما أقبل عصر الحديث، شهدت الحضارة الغربية دور الفرنسية في النفوذ لتأخذ مكان اللاتينية في المضمار الدبلوماسي وخاصة في أوروبا الغربية، وذلك عندما حدثت ثورة النهضة في القرن الرابع عشرتفجرت معها تطورات جديدة هائلة في مجالات شتى في القانون والإدارة والسياسة والاقتصاد وغيرها ولم تستطع اللاتينية التعبير عن هذه المستجدات وعجزت عن التعبير بكلمات مناسبة عنها، في حين أن الفرنسية قد وفّتحقها في التعبير بكلمات مناسبة عن هذه الأشياء الحديثة، وقد أدّى هذا إلى تدهور شأن اللاتينية أمام الفرنسية، ومن أسبابها ظهور آلة الطباعة والمنشورات المطبوعة بلغات غير اللاتينية، وعدم كفاءة الوفود الدبلوماسية في اتقان اللغة اللاتينية بسبب ابتعادهم عن الكنائس. وهذه الظاهرة مهّدت الطريق أمام الفرنسية لتصبح لغة دبلوماسية للعالَم أجمع وظلت حتى بعد الحرب العالمية الثانية عندما ظهرت اللغة الإنجليزية لتكون لغة ثانية بجانبها في جميع التواصل الدبلوماسي بين دول العالم (Baranyai, 2011: 5).

وأما اللغة العربية تعد أهم لغات الدبلوماسية منذ العصر الجاهلي إذ كانت لغة مؤتمر سنوي يعقد في الحجاز لتناشد الأشعار وموازنة الأعمال الأدبية (al-Daghaythir, 2019). فهي كما أكدته الحقائق التاريخية ترجع إلى اللغة السّامية التي تنتمي إلى أصل عربي، موطنها الناحية الشمالية منالجزيرة العربية ويتكلم بها العدنانيون. أما العربية الجنوبية معروفةباللغة الحميريةويتكلم بها القحطانيون.ومن اللغات الأخرى التي تنتمي إلىاللغة السّامية اللغة الآرامية، والعبرية، والكنعانية وهي أقرب لغات السامية للعربية (‘Umar, 1437H: 48-71).

العلاقة الدبلوماسية في العهد النبوي

اشتهرت العالَم قبل ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي بأمبراطوريتين عظيمتين هما الأمبراطورية البيزنطية والأمبراطورية الفارسية التي كانتا تتحكمان الجزءين الكبيرين في الشرق والغرب من الشرق الأوسط. وعندما أقبل الإسلام وأنشئت الدولة الفتية في المدينة المنورة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وجّه جهوده الحثيثة نحو إيجاد العلاقات الخارجية مع تلك الأمبراطوريتين، حيث شرع في إرسال الرسائل الدبلوماسية الدعوية إلى ملوكهما والملوك المجاورة لهما،حتى تمكن من بسط نفوذه السياسي والقيادي مكان هاتين الأمبراطوريتين ليقود العالَم نحو نور الإيمان في مدة أقل من نصف قرن واحد. وهذه المدة التي قاد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة المثالية في المدينة المنورة هي أعظمها نجاحا في إنشاء نموذج العلاقات الدبلوماسية الفريدة لنشر الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة بالحكمة والموعظة الحسنة عن طريق استخدام اللغة الدبلوماسية.

وقد نوّه كثير من علماء السيرة والباحثين والكتّاب حذاقة الرسول وفطانته الراشدة في القيام بمهماته الدبلوماسية، من بينهم أحمد إبراهيم الشريف حيث قال، "وهكذا أثبتت الحديبية بُعد نظر النبي صلى الله عليه وسلم وسلام تقديره، وكانت آية من آيات السياسة الحكيمة والدبلوماسية الفذّة، حتى اعتبرت فتحًا مبِينا فاق في كل نتائجه أعظم الفتوح الحربية؛ فإنه لم يفتح البلاد وحدها وإنما فتح العقول والقلوب للدِّين الجديد ومهَّد للفتح الأعظم بعد ذلك بسنتين، وهو فتح مكة فتحا سلميا، وانضمامها إلى الدولةالإسلامية، وما أعقب ذلك من توحيدالعرب، ودخول الناس في دين الله أفواجا" (al-Sharif, 1965: 377).

وطبيعة العلاقات الخارجية الدبلوماسية التي صاغها الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكتفي النّظر إليها من الناحية السياسية فقط كما هو متداول لدى أصحاب العلوم السياسية اليوم، بل شملت علاقاته الخارجية الجانب الديني معًا، لأن ما حدث حول الرسول صلى الله عليه وسلم من التعامل والاحتكاكات مع الناس والقبائل التي لقيها داخل مكة وخارجها قد هيّأت له بالدعوة، ونمت في نفسه مهارة التعامل مع الآخرين في السّلم والأمن، وفي البيع والشراء، وفي العيش والجوار، وفي التكافل والتحالف، وفي الحرب والنّـزاع، فتجمّعت لديه رصد الاتصالات والاحتكاكات مع الناس وخلفيات العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات تفيده في المستقبل لصياغة العلاقة الخارجية والدبلوماسية التي تخدم هذا الدِّين. وقد أصبح قائدا دبلوماسيا ورئيسا بارزا للدولة الإسلامية ليخاطب أشراف القبائل وأمراءها في شبه الجزيرة العربية وملوك الدول وعظماءها خارج حدودها يدعوهم إلى الإيمان والإسلام.

بناء على هذا أكد بعض الباحثين بأن مفهوم العلاقة الدبلوماسية التي صاغها الرسول صلى الله عليه وسلم يضفي على الدبلوماسية الإسلامية طابعا مختلفا من حيث الأسس والأهداف والغايات الإنسانية عن الطابع الدبلوماسي التقليدي (al-Tuwajri, 2009: 22). إذ كانت الدعوة إلى الإسلام هو الهدف الرئيسي من بعث الرسالة النبوية وليس لها علاقة بالسياسة والتجارة وإضرار الناس.

اختلفت أهداف السفارات النبوية اختلافا شاسعا عن أهداف السفارات العربية قبل الإسلام. فقد كان أهم أهداف السفارات العربية هو توثيق الصلات التجارية، وتوطيد العلاقات والمجاملات السياسية، وعرقلة حريّة الدعوة إلى الإسلام، ومحاولة التنكيل بالمسلمين وتصفية الذين يصرّون على الإسلام ويرفضون الكفر بعد الإيمان (Khattab, 1996: 30).

ويرى حوستي بأن العلاقات الخارجية حسب ما عرفها، بأنها لا تعني العلاقات السياسية أوالسياسية الخارجية بين دولتين أو أكثر فحسب، بل تمتد إلى العلاقات بين الأفراد والمؤسسات والجماعات والدول في شتّى مجالات الحياة في السياسة

والاقتصاد والتجارة والثقافة والرياضة والفنّ والاجتماع والدِّين والقانون وغيرها من الأمور التي تمسّ بعلاقات الناس بعضهم بعضا (Hosti, 1983: 19)، فيبدو من تعريف حوستي بأن العلاقات الخارجية تشمل جميع أنواع الاتصالات بين أفراد المجتمع الدولي وفئاته حكومة كانت أو مؤسسة، فردا كانت أو منظّمة ليصل إلى أهدافهالمرجوة، ويحقق كلا الطرفين الغاية من هذه العلاقات ويجني ثمارها،وتلك العلاقة لاتنجح إلا عن طريق اللغة الدبلوماسية والترجمة في آن واحد.

إن الغاية التي ينشدها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أنشأ علاقته مع مَن حوله من الأفراد والقبائل والدوللم تقتصر على جني المصالح الدنيوية فقط، بلالغرض الأسمى منها هو تبليغهم الدعوة الإسلامية ونشرها. فقد بادر الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال الدعاةإلى هؤلاء الملوك والأمراء، وتبعه الخلفاء الراشدون في ما سن من مبادرات (al-Tuwayjri, 2009: 13).

ويمكن تقسيم جهود الرسول صلى الله عليه وسلم في إنجاح العلاقات الخارجية إلى عدة مراحل، وهي مرحلة التأسيس والاستطلاع، ومرحلة الاستقبال والتجاوب، ومرحلة إرسال السفراء وبعث السفارات وهي أهم المراحل التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة الإسلامية خارج حدود منطقة الجزيرة العربية.

مرحلة الاستطلاع والتأسيس هي الخطوة الأولى التي أخذها الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء العلاقة الخارجية وإنشاء السلك الدبلوماسي مع الجهة الأجنبية لصالح الدعوة الإسلامية والدين الإسلامي، حيث أمر ابن عمه جعفر بن أبي طالب – رئيسًا ومترجمًا – على ثلاثة وثمانين رجلا من أصحابه مع بعض أزواجهم للهجرة إلى الحبشة هربًا من بطش مشركي مكة وحسن جوار النجاشي ملك الحبشة،وكان هذا أول سفارة أو إدارة دبلوماسية في الإسلام (Ahmad, 2009: 6). وهذه العلاقة الدبلوماسية تعدأول باكورة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

وبعد فتح مكة، تدفق مجيء وفود العرب من أنحاء الجزيرة العربية إلى مقر رئاسة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة المعروفة بمرحلة "*النجاح المشهود*" بصورة متواصلة. فقدذكر بعض المؤرخين من بينهم ابن الأثير في كتابه " *الكامل في التاريخ*"، وابن سعد في "*الطبقات الكبرى*"، وابن قيم الجوزية (1998, 3: 549) في كتاب "*زاد المعاد في هدي خير العباد*"، بأن هناك وفود كثيرة أمثال بني مضر من قبيلة مزينة وفدوا – أربعمائة نفر منهم – إلى المدينة المنورة لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلموأعلنوا إسلامهم (Ibn Sa'd, n.d., 1: 252). وممن أسلموا وبايعوا الرسول في المدينة المنورة بني تميم وهم من أشراف العرب وخطبائهم وشعرائهم، فقد أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن جوائزهم (al-Nadwi, 1989, 4: 378). وممن وفدوا المدينة أيضًا نصارى نجران مطالبين بالصّلح،فصالحهم الرسول صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به (Ibn Kathir, n.d., 2: 78).

وفي شأن وفد من نجران، فقد سرد ابن الأثير قصة وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: أما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادوا مباهلته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين، فلما رأوهم قالوا هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه، وصالحوه على ألفي حلة، ثمن كل حلة أربعون درهما، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به (Ibn Kathir, n.d., 2: 78).

وبعد رجوع هؤلاء النفر إلى نجران، كتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطابا بلغة دبلوماسية للمصالحة يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب محمد النبي رسول الله لأهل نجران إذا كان حكمه عليهم، أن في كل سوداء أو بيضاء وصفراء وتمرة ورقيق، وأفضل عليهم وترك ذلك لهم على ألفي حلة، فيكل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة، مع كل حلة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب، وعلى نجران مثواة رسلي ومتعتهم بها عشرين فدونه،ولا يحبس رسول فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ومعذرة، وما هلك مما أعاروا رسولي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسولي حتى يؤديه إليهم، ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وتبعهم ... وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم (Ibn Shabbah 1995: 310).

وبهذه الدبلوماسية بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء العلاقة القوية وتوطيد أواصر الإخاء والصّداقة مع جميع أفراد الوفود من قبائل العرب والعجم، فقد أتوه راغبين في التعرّف على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم العظيمة والدِّين الجديد حتى أقنعتهم عقيدته الصحيحة بالإيمان بالله الواحد الأحد ونبذ الشرك والأوثان، فدخلوا في دين الله أفواجا وبايعوه رضا واقتناعا،وبهذا ازداد عدد المسلمين في المدينة المنورة وانتشروا في أقطار شبه الجزيرة العربية.

وبعد نجاح المرحلة الأولى قد تهيأت الفرصة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم للانتقال إلى المرحلة التالية في الدعوة وهي مرحلة عالمية الإسلام ونشره خارج حدود المدينة المنورة. حيث عيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من أصحابه أن يقوموا بتعليم الناس أمور الدِّين الجديدخارج المدينة المنورة، منهم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري بعثهما دعاة إلى اليمن، وأوصاهما بلغة دبلوماسية قائلا : "يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا" (al-Bukhari, *Sahih al-Bukhari*, Kitab al-Maghazi, Bab Ba'th Mu'adh wa Abu Musa ila al-Yaman). وبعث خالد بن الوليد دعاة إلى بني الحارث بن كعب بنجران يعرّفهم بالإسلام، وبعد أن عاد بعث إليهم عمرو بن حزم يعلّمهم ويفقههم في الدّين ويأخذ منهم صدقاتهم (al-Nadwi 1989: 379). تلك الدبلوماسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة الإسلامية.

ثم انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطور الثالث والأخير وهو توطيد العلاقات الدبلوماسية خارج المدينة المنورة. فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا القرار الصامد بعد أن استقر الأوضاع السياسية في المدينة المنورة،وأقيمت فيهاأسس الدولة الإسلامية، وتمكّنت في خلال خمس سنوات التصدّى على الحملات العسكرية التي كانت تشنّها قريش مع حلفاءها من العرب واليهود للقضاء على المسلمين والدولة الإسلامية الجديدة، وباءت جهودهم بالفشل والخذلان. ولم يتمكنوا من إلحاق الأذى والضرر بالدولة الإسلامية والمسلمين إلى درجة يمكنهم فيها هدم هذه الدولة، بل استطاع الرسول مواجهتهم والتصدى لحروبهم لتصمد هذه الدولة شامخة أمام أعداءها بعد هذا النجاح الكبير.

ثم شرع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا النجاح في السنة السادسة من الهجرة بالخروج إلى مكة لأداء العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه، فعندما عرفت قريش قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أرسلوا إليه وسطاء ورسلا حاولوا منعه عن دخول مكة لأداء العمرة والقيام بمناسكها حول الكعبة ومن هؤلاء: بديل بن ورقاء الخزاعي، والحليس بن علقمة، وعروة بن مسعود الثقفي. وفشل هؤلاء الدبلوماسيون في تسوية الخلاف بين الطرفين وتقريب وجهة نظريهما. فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ليكون سفيرا من طرفه إليهم، ليخبرهم عن أهداف مجيء هؤلاء المسلمين إلى

مكة المكرمة، وأنهم لم يأتوا لحرب قريش وأهل مكة. ولكن قريشا احتبست عثمان عندها فشاع الخبر أنها قتلته، فأقبل الصحابة يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال قريش حتى الموت بسبب ما سمعوا من إشاعة خبر مقتل عثمان والمسلمين عندهم، وهتك الأعراف الإنسانية الدبلوماسية التي اقترفتها قريش، وبعد أن سمعت قريش عزم المسلمين للثأر على مقتل عثمان وأدركت خطورة الموقف فتشاور عظماؤها فيما بينهم ووافقوا على إطلاق سراح عثمان، وأرسلوا سهيل بن عمرو مبعوثا جديدا من قبَلهم لمفاوضة الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن قدومهم إلى مكة المكرمة، وتمّا لاتفاق بينهما على مجموعة من الأمور والنقط، وسمي هذا الاتفاق بصلح الحديبية.[1] وقد جاء ذكر هذا الاتفاق أيضا في القرآن الكريم في سورة الفتح حيث قال الله عز وجل،

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18-18]

ثم لم يمض شهران على هذا الصلح حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكاتبة الملوك والأمراء داخل الجزيرة وخارجها، وذكر ابن القيم، أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله (Ibn Qayyim al-Jawziyyah 1998, 1: 119)، وكان من مبعوثه الدبلوماسي كما ذكر محمد حميد الله عمرو بن أمية الضمري بحمل كتابه إلى النجاشي ملك الحبشة، وحاطب بن أبي بلتعة مبعوثا إلى المقوقس ملك مصر، والصحابي عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين، وبعث عمرو بن العاص سفيرا إلى ملك عمان (Hamid Allah 1987: 99-148; Khattab, 1996: 31-160). وهذه المهمات المؤقتة التي قضاها رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خارج البلاد ميزة خاصة تميزت بها الدبلوماسية المحمدية في ذلك الوقت وهي ما يعرف حاليا في الدبلوماسية الحديثة بالبعثات الخاصة، وتطورت فيما بعد بما يعرف بنظام التمثيل الدبلوماسي الدائم في علاقاتها مع غيرها من الدول.ومن خلال هذا يتضح لنا أنّ المهمّة الأساسية في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية كانت نشر الدعوة الإسلامية (al-'Anati, 1999: 67).

وفي الفترة التي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بالدعوة إلى دين الإسلام ونشره عالميا، اشتهرت في العالم آنذاك، الأمبراطوريتان العظيمتان وهما الأمبراطورية البيزنطية والأمبراطورية الفارسية وكانتا تتحكمان الجزءين الكبيرين في الشرق والغرب والأماكن المجاورة لهما في الشرق الأوسط. حيث ذكرمحمود شيت عن هاتين الأمبراطوريتين ونفوذهما في المنطقة قائلا، "كانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتا الفرس والروم، وكانتا أكبر قوتين سياسيتين وعسكريتين في العالم حينذاك، لذلك توالت السفارات السياسية بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المحلية، لعقد المحالفات والاتفاقات المختلفة" (Khattab, 1996: 27). وشهدت جهود الرسول صلى الله عليه وسلم الحثيثة لبدء العلاقات الخارجية بهاتين الأمبراطوريتين العظيمتين حيث شرع بإرسال الرسائل الدبلوماسية الدعوية إلى ملوكهما ومن تحتهم من الحبشة والغساسنة وأهل البحرين وعمان واليمن ونجران وحضرموت ومهرة وغيرها إلا بعد الحديبية (Hamid Allah 1987: 27)، وكذلك بعث برسائله إلى الدول المجاورة

[1] وقد روى كثير من علماء السيرة حول هذه القصة في صلح الحديبية أمثال الواقدي في *المغازي* ج: 2 ص. 571، وابن إسحاق في *السيرة النبوية* ص. 454 والندوي في *السيرة النبوية* ص. 273، وأحمد إبراهيم الشريف في *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول* ص. 483. وغيرهم.

واستقبل وفودا عديدة من شتى ربوع الجزيرة العربية وعقد الهدنة والصلح بين القبائل العربية واليهودية تمهيدا لتطوير النفوذ السياسي والدبلوماسي في المنطقة وما حولها.

وبعد أن بسط الرسول صلى الله عليه وسلم مد نفوذه السياسي والقيادي في المدينة المنورة ضعفت هاتين الأمبراطوريتين، وعمل دولة الرسول الدور القيادي لتقود العالم بنور الإيمان في مدة أقل من نصف قرن واحد، وتعد الدولة المثالية وأعظمها نجاحا في إنشاء العلاقات الدبلوماسية الفريدة لنشر دعوة الإسلام والإيمان إلى كافة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى. فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسله وبعث معهم بكتبه إلى الملوك والأمراء وأشراف القبائل وجميع فئات الناس لدعوتهم إلى الإسلام داخل ربوع شبه الجزيرة العربية وخارجها إلى الدول التي يدين ملوكها النصرانية.

وقد عدد كثير من علماء السيرة أمثال ابن هشام والطبري وابن سعد وابن الأثير وابن الجوزي وغيرهم، مجموعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إلى الملوك والأمراء وأشراف الدول المختلفة إبتداء من أواخر العام السادس إلى العام العاشر من الهجرة، ومن هؤلاء كما هو موضح في الجدول 1 التالي (Khattab 1996: 16 & 17)،

الجدول 1 سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء:

الرقم	اسم السفير	اسم الملك او الأمير	التوقيت بالهجري	الملحوظات
.1	جعفر بن أبي طالب	النجاشي ملك الحبشة	8 قبل هـ	أول سفير في الإسلام أسلم النجاشي الأول
.2	عمرو بن أمية الضمري الكلبي	النجاشي ملك الحبشة	أواخر سنة 6هـ	أسلم النجاشي الثاني أيضا
.3	دحية بن خليفة الكلبي	هرقل عظيم الروم	أواخر سنة 6 هـ	صرف السفير النبوي بالحسنى
.4	عبد الله بن حذافة السهمي	كسرى إبرويز بن هرمز ملك الفرس	أوائل سنة 7 هـ	مزق الكتاب النبوي
.5	حاطب بن أبي بلتعة اللخمي	المقوقش عظيم القبط بمصر	أواخر سنة 6هـ	أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم وصرف السفير النبوي بالحسنى
.6	شجاع بن وهب الأسدي	الحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة بالشام	أواخر سنة 6هـ	لم يسلم
.7	سليط بن عمرو العامري القرشي	هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة	أواخر سنة 6هـ	لم يسلم
.8	عمرو بن العاص السهمي القرشي	جيفر وعبد ابنا الجلندي في عمان	أواخر سنة 8 هـ	أسلما
.9	العلاء بن الخضرمي	المنذر بن ساوى العبدي في البحرين	أواخر سنة 6هـ	أسلم
.10	الحارث بن عمير الأزدي	ملك بصرى في الشام	أواسط سنة 8 هـ	استشهد السفير النبوي قبل وصوله إلى ملك بصرى
.11	المهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي	الحارث بن عبد كلال الحميري في اليمن	سنة 9 هـ	أسلم
.12	جرير بن عبد الله البجلي	ذو الكلاع وذو عمرو في اليمن	سنة 11 هـ	أسلما
.13	معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي	الحارث وشرحبيل ونعيم بن عبد كلال	أواخر سنة 9 هـ	أسلموا

14.	أبو موسى الأشعري	الحارث بن عبد كلال وإخوته	أواخر سنة 9 هـ	أسلموا
15.	عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي	الحارث بن عبد كلال وإخوته وبنو الحارث بن كعب في نجران	أواخر سنة 10 هـ	أسلموا
16.	دحية بن خليفة الكلبي	ضغاطر أسقف هرقل الروم	أواخر سنة 6هـ	قتله الروم
17.	لم يذكر اسم الرسول	أساقف نصارى نجران	لم يذكر	أسلموا

عراقيل التواصل في اللغة الدبلوماسية وحلها

إن اللغة الدبلوماسية المستخدمة بين الدولتين أو الدول التي تملك عدة لغات بحاجة ماسة إلى ترجمة هذه اللغة الدبلوماسية لتسهيل عملية التواصل الدبلوماسي وتأكيد نجاحه،فالناس قديما رأوا أهمية الاعتناء باللغة الدبلوماسية وتدريب المعنيين في الترجمة، وقد أشار مارتين (2002) إلى هذه الحقيقة حينما أشار إلى ما كتبته رولاند بأن المترجمين في العصور الأولى، كانت ثنائية اللغات ولم يحتاجوا إلى برامج تدريب المترجمين، ولكنه في عصر مصر القديمة، قد شكلت طبقة مصرية إغريقية خاصة للترجمة، وكذلك الأمر في الإغريق القديم حيث تم تعليم صغار الفرس باللغة الإغريقية، وفي الروم القديم كانت ثنائية اللغات في التعليم باللغتين اللاتينية والإغريقية مميزة خاصة للمواطن المثقف، كما كان يوجد في بيزنطة مكتب للبرابرة الذين قاموا بدراسة لغات الناس وعاداتهم في تلك الأمبراطورية الشاسعة، وفي القرن الرابع عشر بمدينة توليدو أنشئ وازدهر مركز رباعية اللغات في العربية والعبرية والأسبانية واللاتينية، بينما كان في الأمبراطورية العثمانية معهد للطبقة الخاصة للمترجمين الأتراك والأجانب الذين قاموا بأعمال الترجمة بين الأتراك والأوروبيين، وفي الصين كان امتحان القطاع العام للمترجمين تم إعداده بعشر لغات أجنبية.

ولحل مشكلة التواصل في اللغة الدبلوماسية بين الجهتبن أو الدولتين، ذكرت كتب التاريخ الكثير من أعمال المترجمين والترجمة والدور الذي كان يلعبه المترجمون في العلاقات الدبلوماسية والدولية عندما تعثر أحد الطرفين في التواصل واحتاج إلى من يقوم بحل هذه المشكلة. ومن بين تلك الأمثلة ما طلبه قيصر عظيم الروم من مساعدة المترجم للحوار الذى جرى بينه وبين أبي سفيان. والحوار الطويل بينهما كان بمساعدة ترجمان قيصر الذي دعاه إلى مجلسه ليكون ناقلا للكلام من لغة أبي سفيان وهي العربية إلى لغته الرومية بحضور علماء الروم حوله (Ibn al-Jawzi, 2004: 58-63).

ولخطورة دور الترجمة والمترجمين، لوحظ بشكل واضحأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضعها في عين الاعتبار في علاقاته الخارجية مع الدول المجاورة للمدينة المنورة عند قيامه بنشر الدعوة وتبليغ رسالة التوحيد إلى قادة هذه الدول وملوكها ورعاياهم. ويبدو ذلك جليا بعد صلح الحديبية حيث تشاور مع أصحابه واختار منهم من كان لديه الدراية والمعرفة بلغة ملك الدولة وعادات شعبها وتقاليدهم. وقد أمرهم مسبقا أن يتعلموا اللغات الأجنبية استعدادا لهم للسفارات الدولية فيما بعد.

ولم يكن إرسال الرسل إلى خارج البلاد جديد العهد عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقدكانوا في العهد المكي عانوا فيه ساعة العسرة بسبب بطش مشركي مكة وأذاهم واضطهادهم لهم، فأَذِن لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة وقال: إن بها ملكا لا يظلم الناس عنده (Ibn Qayyim al-Jawziyyah, 1998, 1: 95). فهاجر إليها مجموعة صغيرة من الرجال والنساء من أصحابه، وعند مجلس النجاشي عظيم الحبشة أخذ جعفر بن أبي طالب دور الترجمان للملك دفاعا عنه وعن أصحابه تجاه طرد النجاشي رسولي قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من الحبشة إلى مكة،فقد وضّح له جعفر بن أبي طالب بأنهم جاؤوا بالدين الجديد وتركوا دين أجدادهم وفارقوا الجماعة ولم يدينوا باليهودية

ولا النصرانية، قائلا بقوله المشهور: " أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك (Ibn Hisham, 1955: 355 & 356). واستمر الحوار بينهما في شأن الدين الذي جاء به محمد وفي تفصيل بيان الصفات التي اتصف بها المسيح عيسى ابن مريم واختص بهاكما وصفها له الرسول صلى الله عليه وسلم مسترشدا ببعض الآيات القرآنية من سورة مريم، مما أدّى إلى بكاء النجاشي وأساقفته مما عرفوا من الحق من القرآن في صفات المسيح عيسى الموجودة عندهم في التورة والإنجيل. فقد أسلم النجاشي بعد ذلك واستقام على هذا الدين الحنيف حتى مماته.

ولقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن التمثيل للدولة إلى الدول الأجنبية لا يكون ناجعا إلا إذا كان الممثل عالما بلغة تلك الدولة الأجنبية، ولا يؤدي مهامه بنجاح إلا إذا كان ملما بلسان الأمة التي يبعث إليها. ولم يقم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر إلا اقتداء بخبرة سيدنا عيسى عليه السلام عندما أراد أن يختار من أصحابه من يرسل دعوة الله إلى الأمم حيث يختار الذي يتكلم بلغة القوم الذي بعث إليهم، وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مصلاه يسبّح ويدعو ثم يختار من أصحابه ويبعثهم إلى الملوك والأمراء (Ali, 1986: 11 & 12).

لقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء السفراء من بين الأشخاص الذين يتميزون بالعلم الواسع والذكاء الخارق والسمعة الطيبة والمظهر اللائق والرونق الشائق والمنطق اللطيف والبديهة الحاضرة حتى يكون لكلامهم أجمل وقع ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه (Ibn Tulun al-Dimashqi, n.d.: 18).

وقال ابن إسحاق، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معهم،

بسم الله الحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة
إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن
وأسهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها
إلى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى
وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ولأن تتبعني
وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت
إليك لبني عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين

والسلام على من اتبع الهدى (Ibn Kathir, n.d., 3: 83).

وقد لعب عمرو بن أمية الضمري دوره سفيرا للرسول صلى الله عليه وسلم ومترجما له في شأن الرسالة والدعوة إلى الله مخاطبا النجاشي: يا أصحمة، إن علي القول وعليك الاستماع، إنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفظك على شر إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفضل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم وقد فرق رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر" (Ali, 1986: 19).

واختار الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي رسولا له إلى قيصر عظيم الروم، وكان صحابيا جليلا يضرب به المثل في جمال الصورة وحسن الهيئة والخلقة، وهو عالم بلغة الروم وعاداتهم وروي أيضا أنه أتقن السريانية والآرامية بالإضافة إلىالرومية. وكان بجانب ذلك مشهورا برجحان العقل والذاكرة واسع الخبرة في التجارة والجغرافية لمنطقة الحجاز والشام. ويذكر أنه كان من أصل القبيلة اليمنية التي هاجرت إلى الشام في القرن الخامس أو السادس الميلادي وسكنت في منطقة الشام في حدود شمال أرض الجحاز، ولهذا السبب كان عالما بلغة أهل المنطقة الذين كانوا تحت الأمبرطورية الرومية،وكانت له أيضا علاقة حميمة وصداقة بهرقل قيصر الروم والذي تولى حطم الأمبرطورية الرومية بين فترة 610م إلى 640م، وفي السنة الثالثة للهجرة استأذن دحية الكلبي النبي صلى الله عليه وسلم للخروج إلى الشام في رحلة التجارة، ثم بعد ذلك ذهب إلى بيزنطة والتقى فيها هرقل فأعطاه عطايا عظيمة ومحامل عظيمة تقدرا لزيارته. ولأجل ذلك، عندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث بكتابه إلى قيصر الروم لم يجد أحدا أفضل منه من بين أصحابه ليكون رسولا له إليه حاملا معه رسالته الشريفة، داعيا هرقل وقومه إلى الإسلام والإيمان. فأخذ دحية الرسالة وانطلق بها إلى بصرى يلتقي فيها والي هرقل للمنطقة الشرقية، ثم انصرف معه إلى القدس ليقابل هرقل الذي جاء من بيزنطة لزيارة هذا المكان المقدس لأداء الصلاة فيه بعد انتصاره على الفرس والقضاء على هذه الإمبراطورية بعد صراعات وحروب دامت بينهما لمدة طويلة. فعندما وصل دحية باب القصر وأعطى الرسالة للحاجب لم يخبره بأنه دحية المعروف عند الملك، بل اتكفى فقط بالقول إنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفوجيء الملك بذلك الرسول بعد دخوله عند مجلسه بأنه دحية الكلبي، ودار الحوار الطويل بينهما بحضور بطارقته وأساقفته، في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته الشريفة، والدين الجديد ما أدى إلى إذعانه بالنبي المرسل المنتظر كما وجده مكتوبا عندهم في الإنجيل وبالحق الذي جاء به. وقال دحية الكلبي في هذا الشأن، "وجهني النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى ملك الروم وهو بدمشق، فناولته كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبل خاتمه ووضعه تحت شيء كان عليه قاعدا، ثم نادى فاجتمع البطارقة وقومه، فقام على وسائد ثبتت له، وكذلك كانت فارس والروم، ولم تكن لها منابر. ثم خطب أصحابه فقال: هذا كتاب النبي الذي بشرنا به المسيح عيسى من ولد إسماعيل بن إبراهيم" (Ibn al-Jawzi, 2004: 64 & 65). فأيقن هرقل نفسه وأخبر قومه بصحة الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنه طلب منهم أن يتبعوه في قبول هذا الحق والإيمان به، وقال لهم: "يا معشر الرومقد أتاني كتاب هذا الرجل الذي يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا"،[2] ولكنه سرعان ما وجد في الروم من الرد والتمادي على عقيدتهم المسيحية وإصرارهم عليها، فما لبث أن رجع إلى الباطل خوفا على نفسه وطمعا للبقاء على ملكه.

[2] نفس المرجع، ص. 63

ونص رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم وهي مؤلفة من ثمانية أسطر وفق ما جاء في الوثيقة الأصلية لها،

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، وأما بعد،
فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله
أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.

وختم الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة بخاتمه المكتوب عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر. والجدير بالذكر بأن الكثير من علماء السيرة أوردوا روايات حول اقتناع هرقل بما قدمه دحية الكلبي من صدق النبوة وحقيقة الإسلام، بالإضافة إلى صدق الحقائق التي وجدها في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته الموافقة بصفات النبي المنتظر الذي وجده في الإنجيل، بعد استدعائه لأبي سفيان إلى مجلسه وطرحه له أسئلة حول نسب محمد وأجداده وخلقه وأتباعه والدين الجديد الذي جاء به إلى أهل مكة ورد فعلهم تجاهه، وما كان ذلك إلا أن أدى به إلى الإيمان به ودعوة قومه إلى الإسلام، حيث قال: "يا معشر الروم، إنه أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، فهلم فلنتبعه فنسلم لنا دنيانا وآخرتنا" (Ibn al-Jawzi, 2004: 63).

المناقشة

وقد لوحظ بشكل واضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك وضع نصب عينيه في الترجمة والمترجمين ووضعها في قائمة أولويات الأمور في علاقاته الخارجية مع الدول المجاورة للمدينة المنورة عند قيامه باختيار سفراءه لنشر الدعوة وتبليغ رسالة التوحيد إلى قادة هذه الدول وملوكها ورعاياهم. وتبين ذلك الأمر واهتمامه بالترجمة جليا بعد صلح الحديبية، من خلال مشاورته مع أصحابه في شأن إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء ووعيه بأهمية دور الترجمة والمترجمين في بدء العلاقات الدبلوماسية والدولية، بحيث أنه قد أمرهم مسبقا أن يتعلموا اللغات الأجنبية وتشاور معهم في أمر السفارات الخارجية مثل ما فعله عيسى عليه السلام مع الحواريين، ثم اختار الرسول صلى الله عليه وسلم منهم من كانت لديهم الدراية والمعرفة بلغات ملوك الدول وعادات شعبها وتقاليدهم استعدادا لهم للسفارات الدولية فيما بعد.

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بتعلم اللغات الأجنبية غير العربية ليتسنى له عملية نقل ما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من أرسل إليه لاحقا، وقد ثبت عن زيد بن ثابت أنه تعلم السريانية في سبعة عشر يوما بأمر وتوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى عبد بن حميد من طريق ثابت بن عبيد، عن زيد بن ثابت قال: قال

لي النبي صلى الله عليه وسلم: "إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلمْ السريانية" (al-A'zami 1978, 15)، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم لغة اليهود، فتعلمها في قرابة نصف شهر، قال زيد: حتى كتبت له صلى الله عليه وسلم إلى يهود وأقرأته إذا كتبوا إليه. وذكر التلمساني في كتابه العمدة، بأن زيد بن ثابت كان ترجمان الرسول صلى الله عليه وسلم بالفارسية.

لقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية هذه النقطة في أداء مهامه الدعوي عن طريق الترجمة في العلاقة الدبلوماسية واستعمال اللغة الدبلوماسية المناسبة لمخاطبة الملوك والأمراء، واختار لأداء هذه المهمة العظيمة أصحابه الذين لديهم دراية باللغات الأجنبية ليكونوا رسله المترجمين عند هؤلاء الملوك والأمراء. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الطريق الكفيل لنجاح مهام الدعوة عن طريق جمع كل مقوم من المقومات التي لا بد من توافرها لتصل معاني رسائله وأفكاره إلى هؤلاء الملوك والأمراء. فجاء دور الترجمة والمترجمين لنقل هذه المعاني السامية إلى أفهام هولاء الأجانب الذين لا تنطق ألسنتهم باللغة العربية ولا يعرفون استخدامها في دارهم، فقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري سفيرا ومترجما له عند النجاشي وعين دحية بن خليفة الكلبي رسولا له إلى قيصر عظيم الروم في شأن الرسالة والدعوة إلى الله، والعلاء بن الحضرمي مبعوثا ومترجما له عند المنذر بن ساوى، وحاطب بن أبي بلتعة سفيرا ومترجما له عند المقوقس عظيم القبط، والمهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد الكلال أحد ملوك حمير وغيرهم من سفراءه ومترجميه، فإن هؤلاء الملوك والأمراء بعد ما سمعوا من الرسل المترجمين لهذه الرسائل الدلوماسية الدعوية، استيقنوا بما جاءت به من معاني التوجيه الإيماني والتوجيه الأخروي ما جعلهم يقبلون هذا الدين الحنيف مقرين بصدق رسالة التوحيد، ونجحت هذه العملية بواسطة رسله الذين قاموا بدور المترجمين لهم عن الإسلام وعما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغوه إليهم، فقد فتحوا المجال أمام هؤلاء الملوك لإمعان النظر في الرسالة ومقارنة ما يجدونه عندهم من تعاليم دينهم، وقد لفت أنظارهم ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من رسالة التوحيد ورسالة السلام والأمن ومسؤولية الحاكم والقيم الدينية المشتركة وغيرها فهي أشبه ما كان عندهم في تعاليم دينهم وأقرب إلى ما ألفوه في كتبهم المقدسة. ويمكن القول أيضا بأن نجاح عملية الترجمة وأعمال رسله المترجمين قد كشف فطانته صلى الله عليه سلم في اختيارهم لأداء مهمة الخطاب الدبلوماسي وبالتالي أدى هذا النجاح إلى نجاح عملية الخطاب الدعوي المتمثل في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، وكان وصول سنا برق الدعوة إلى قلوب هؤلاء الملوك والأمراء عن طريق الرسالة الدبلوماسية وعملية الترجمة. وهذه الحقائق تعكس فعلا فطانة الرسول صلى الله عليه وسلم في استغلال أنفع طريقة لتأكيد نجاح أداء مهمته الدبلوماسية الدعوية وهي تفعيل دور الترجمة والمترجمين.

الخلاصة

أكد التاريخ منذ قديم الزمان بأن اللغة الدبلوماسية التي استخدمها الناس في علاقاتهم الخارجية لم تستطع أن تفي بدورها في أكمل صورة إلا إذا كانت الترجمة رفيقتها الأولى في إداء هذه الوظيفة المهمة، ووجدت هذه الدراسة اهتمام المصريين القدماء والبابليين في حضارة وادي الرافدين العراقية والإغريق والرومان وغيرهم من الأمم بهذه اللغة، كما أنهم اعتنوا بها أشد الاعتناء وصرفوا همتهم الفائقة في إعداد برامج الترجمة وتدريب المترجمين كما فعله المسؤولون في عدة الإمبراطوريات والدول، ففي مصر مثلا شكلت طبقة مصرية إغريقية خاصة للترجمة، وفي الإغريق القديم تم تعليم صغار الفرس باللغة الإغريقية، وفي الروم القديم

حاز الاهتمام باللغتين اللاتينية والإغريقية، وكان في الأمبراطورية البيزنطية مكتب للبرابرة لدراسة لغات الناس وعاداتهم، وفي الصين كان هناكاهتمام بالقطاع العام للمترجمين في عشر اللغات الأجنبية، وإن دل هذا الاهتمام على شيء فإنه يدل على أهمية اللغة الدبلوماسية وخطورة الترجمة في نجاح العلاقات الدبلوماسية بين الدول.لقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية هذه النقطة في أداء مهامه الدعوي عن طريق استغلال العلاقة الدبلوماسية واستعمال اللغة الدبلوماسية المناسبة لمخاطبة الملوك والأمراء، واختارلأداء هذه المهمة العظيمة أصحابه الذين لديهم درايةباللغاتالأجنبيةليكونوا رسله المترجمينعند هؤلاء الملوك والأمراء. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الطريق الكفيل لنجاح مهام الدعوةعن طريق جمع كل مقوم من المقومات التي لا بد من توافرها لتصل معاني رسائله وأفكاره إلى هؤلاء الملوك والأمراء. فجاء دور الترجمة والمترجمين لنقل هذه المعاني السامية إلى أفهام هولاء الأجانب الذين لا تنطق ألسنتهم باللغة العربية ولا يعرفون استخدامها في دارهم، فقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري سفيرا ومترجما له عندالنجاشي وعين دحية بن خليفة الكلبي رسولا له إلى قيصر عظيم الرومفي شأن الرسالة والدعوة إلى الله،فإن هؤلاء الملوك والأمراء بعد ما سمعوا من الرسل المترجمين لهذه الرسائل الدلوماسية الدعوية، استيقنوا بما جاءت به من معاني التوجيه الإيماني والتوجيه الأخروي ما جعلهم يقبلون هذا الدين الحنيف مقرين بصدق رسالة التوحيد،ونجحت هذه العملية بواسطة رسله الذين قاموا بدور المترجمين لهم عن الإسلام وعما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغوه إليهم، فقد فتحوا المجال أمام هؤلاء الملوك لإمعان النظر في الرسالة ومقارنة ما يجدونه عندهم من تعاليم دينهم،وقد لفت أنظارهم ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من رسالة التوحيد ورسالة السلام والأمن ومسؤولية الحاكم والقيم الدينية المشتركة وغيرها فهي أشبه ما كان عندهم في تعاليم دينهم وأقرب إلى ما ألفوه في كتبهم المقدسة. ويمكن القول أيضا بأننجاح عملية الترجمة وأعمال رسله المترجمين قد كشف فطانته صلى الله عليه سلم في اختيارهم لأداء مهمة الخطاب الدبلوماسيوبالتالي أدى هذا النجاح إلى نجاح عملية الخطاب الدعوي المتمثل في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى،ووصول سنا برقه إلى قلوب هؤلاء الملوك والأمراء عن طريق الرسالة الدبلوماسية وعملية الترجمة.

المصادر والمراجع

‘Ali, Khalidsayyid. (1986). *Rasa’il al-Nabi Salla Allah ‘Alayh wa Sallam ila al-Muluk wa al-Umara’ wa al-Qaba’il*. al-Kuwayt: Maktabat Dar al-Turath.

al-A‘zami, Muhammad Mustafa. (1978). *Kitab al-Nabi Salla Allah ‘Alayh wa Sallam*. Bayrut: al-Maktab al-Islami.

Abu ‘Ubadah, Sa‘id. (2009). *al-Diblumasiyyah: Tarikhiha, Muassasatiha, Anwa‘iha wa Qawaniniha*. ‘Umman: Dar al-Shayma’ li al-Nashr wa al-Tawzi‘.

Ahmad, Nadiah Ibrahim. (2009). al-Diblumasiyyah wa al-Butukulat bayn al-Taqalid al-Islamiyyah wa al-Mujtama‘ al-Hadith: Dirasat Ta’siliyyah. *Majallat Disarat Da‘wiyyah*. *18*.

Baranyai, Tamas. (2011). The Role of Translation and interpretation in the Diplomatic Communication. *SKASE Journal of Translation and Interpretation*. *5*(2), 1-11. Retrieved on May 31, 2019. http://www.skase.sk/Volumes/JTI06/index.html.

Boa, Wang Yong. (2009). *Diplomacy Theory and Practice in Islam.* Kuala Lumpur: IIUM Press.

al-Daghaythar, ‘Abd al-‘Aziz ibn Sa‘d. (2019). *Nasha’at al-Lughah al-‘Arabiyyah wa Tatawwuriha wa Thabatiha Amam al-Tahdiyyat.* Retrieved on June 4, 2019. http://www.saaid.net/Doat/aldgithr/35.htm.

Dahlan, Ahmad Zayni. (n.d.). *al-Sirah al-Nabawiyyah wa al-Athar al-Muhammadiyyah*. Halab: Dar al-Qalam al-'Arabi.

Fortner, Robert S. (1993). *International Communication History, Conflict, and Control of the Global Metropolis.* California: Wadsworth Publishing Company.

Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj 'Abd al-Rahman ibn 'Ali. (2004). *Rasa'il wa Rusul Rasul Allah Salla Allah 'Alayh wa Sallam ila al-Muluk wa al-Ishraf*. Tahqiq 'Abd al-Rahim, Muhammad. Dimashq: Dar Sa'd al-Din li al-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi'.

Ibn Hisham, 'Abd al-Malik ibn Ayyub al-Hamiri. (1955). *al-Sirah al-Nabawiyyah*. Tahqiq al-Saqa, M., al-Abyari, I. & al-Shalabi, 'A.L. 2nd imprint. al-Qahirah: Sharikat Maktabat wa Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuh.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abu Bakr. (1998). *Zad al-Ma'ad fi hady Khayr al-'Ibad*. Tahqiq. al-Arna'ut, Shu'ayb & al-Arna'ut, 'Abd al-Qadir. Vol. 1. 3rd imprint. Bayrut: Mu'assasat al-Risalah.

Istanbuli, Yasin. (2001). *Diplomacy and Diplomatic Practice in the Early Islamic Era*. UK: Oxford University Press.

Khitab, Mahmud Shith. (1996). *Safra' al-Nabi Salla 'Alayh wa Sallam*. Bayrut: Mu'assasat la-Rayyan.

Maqbul, 'Ali. (2000). *al-Hasanat al-Diblumasiyyah wa al-Qansiliyyah wa al-Mu'ahadat*. Sana'a': Dar al-Jazirah.

Martin, I. (2002). Ruth A. Roland. Interpreters as Diplomats: A Diplomatic History of the Role of Interpreters in World Politics, Ottawa, University of Ottawa Press, 1999, 209 p. *La Traduction au Canada: Tendances et Traditions. 15*(1), 244–247. Retrieved on May 31, 2019. https://www.erudit.org/fr/revues/ttr/2002-v15-n1-ttr524/006810ar.pdf.

Shabanah, 'Abd al-Fattah. (2001). *al-Diblumasiyyah: al-Qawa'id al-Asasiyyah wa al-Mumarisah al-'Ilmiuuah al-Mushkilat al-'Aqliyyah*. al-Qahirah: Maktabat Madbuli.

al-Sharif, Ahmad Ibrahim. (1965). *Makkat wa al-Madinah fi al-Jahiliyyah wa 'Ahd al-Rasul.* al-Qahirah: Dar al-Fikr al-'Arabi.

'Umar, 'Abd al-'Aziz. (1437H). *Manzilat al-Lughah al-'Arabiyyah bayn al-Lughat al-Mu'asirah: Dirasat Taqabuliyyat*. 2nd imprint. al-Mamlakah al-'Arabiyyah al-Su'udiyyah: Markaz al-Bahth al-'Ilmi wa Ihya' al-Turath al-Islami.